حوار خاص للوفاق مع رئيس جمعية البركة في الجزائر

قصة متواصلة لإخراج فرنسا من أفريقيا.. اقتباس من الثورة الجزائرية

لم يكن أمراً عادياً الوقوع في حب الوطن، ذاك الوطن الذي إنصهر ابناءه بدمائهم واجسادهم من أجل تحريره من براثين الإستعمار الفرنسي وإحتلاله، لم يتعبوا ولم يتراجعوا، حملوا البنادق والأسلحة، وساروا في الجبال وبين الأودية، ورفعوا شعار "الله أكبر تحيا الجزائر" رغم قساوة الإعدامات الفرنسية وتحويل صحراء الجزائر واهل هذا الوطن الى تجارب نووية... حتى اليوم لا يزال الجزائريون يقرأون الجزائر سيرة بلد مقاوم، ناضل من أجل حريته أكثر من ١٣٢ عاماً، بأطفاله ورجاله ونساءه وشيوخه، فكان بلد المليون ونصف المليون شهيد الذي حفظه التاريخ وأجياله، وكتبوا وعاهدوا انفسهم أن التحرير القادم هو تحرير فلسطين، وأن فلسطين أم القضايا ولو كلفهم ذلك مليون ونصف مليون شهيد آخر.

من الجزائر فتحت جريدة الوفاق اوراق تاريخ المقاومة الجزائرية التي امتدت أكثر من قرن، المقاومة الشعبية التي توحّد جميع أهل الجزائر تحت راية التحرير من الإستعمار الفرنسي، وإلتقت الوفاق بالدكتور أحمد ابراهيمي الذي حفظ تاريخ المقاومة بكل فصولها وهو رئيس جمعية البركة في الجزائر وأحد الشخصيات الداعمة للقضية الفلسطينية وكان التحقيق التالي.

الوفاق/ خاص
أمل محمد شبيب

الإستعمار الفرنسي أراد تغيير معالم الجزائر تاريخياًودينياًوعقائدياً

من تاريخ الجزائر، البلد الذي عُرف بمقاومته، فتحنا حديثنا مع الدكتور أحمد ابراهيمي وإنطلقنا من الأسباب التي ولّدت مقاومة لامثيل لها في نفوس الشعب الجزائري، ومعه عدنا الى تاريخ الجزائر يوم تعرضت الجزائر الى إحتلال غاشم، إحتلال صليبي حاقد أراد أن يغيّر معالم هذا البلد تاريخياً ودينياً وعقائدياً وهوية شعب ضارباً كل شيء بعرض الحائط، يقول ابراهيمي "مع أول دخول للإستعمار الفرنسي الى الجزائر أغلق المساجد وأعاد اسطبلات الخيل وبدأ في بناء الكنائس وحطّم كل الأوقاف وقضى عليها، هذه الاوقاف التي كانت تتغذى منها المشاريع الإسلامية التي تحافظ على القيم والدين وما الى ذلك، كل هذه الأساليب الفرنسية ولّدت في نفوس الشعب الجزائري المقاومة العظيمة، فالشعب الجزائري بطبعه شعب مقاوم يرفض الظلم والإستسلام، ولا يرضى بالتجاوزات أو التعدي عليه ولا على اراضيه، فبمجرد أن دخلت فرنسا بدأت المقاومة، هذه المقاومة التي استمرت لسنوات وإنتهت بالثورة المباركة التي جلبت الإستقلال، فهذا العدو اضطهد الشعب ومنع عنه العلم والتواصل مع الآخر، بل ومنع عنه كل ما هو حقّ للإنسان أن يكون له، لهذا فإن الشعب الجزائري عندما رأى كل هذه الأمور من الفرنسيين، أدرك أن هذا العدو لا يفهم لغة الحوار ولا المفاوضات، بل يفهم لغة وحيدة التي تقوم على التالي: "هو دخل بالقوة وبالقتل وبالظلم فردوا عليه بنفس الأساليب، بالمقاومة والدم وبتضحيات جسيمة وصلت الى أكثر من ١٠ ملايين شهيد منذ ان دخلت فرنسا الجزائر الى اليوم التي خرجت منه".

البعد الجغرافي والبعد الديني قوام المقاومة

إذاً، بدأت المقاومة في الجزائر بعد وضوح أهداف فرنسا من هذا الإستعمار، هذه المقاومة التي تركزت في بدايات الأمر، كما يقول الدكتور ابراهيمي، على الإستفادة من تضاريس البلاد، فالجزائر بلد يحتوي على تضاريس كبيرة جداً، من جبال وصحراء وأحراش وأدغال، فكان قوام هذه المقاومة بداية هو البعد الجغرافي ثم البعد الديني الذي كان حاضراً بقوة لأن جميع اشارات المقاومة كانت تنطلق من المدارس القرآنية، عندنا في الجزائر ما يعرف بـ" الزوايا" والزوايا هي منظمات دينية تُدرّس فيها العلوم الدينية، كما أن معظم الناس الذين قادوا المقاومة في الجزائر كانوا "حسنيين" من نسب رسول الله(ص) ، مثل الامير عبد القادر وفاطمة نسومر وغيرهم، فآل البيت (ع) لهم مكانة خاصة عند الجزائريين حتى يومنا هذا، لذلك فإن هذا النسب وهذا الولاء لآل البيت عليهم السلام كان من أهم المرتكزات التي قامت عليها المقاومة الجزائرية.

الثورة الجزائرية إحتضنها الشعب وإلتحم بها

مرتكزات مهمة قامت عليها الثورة الجزائرية، تلك الثورة التي عرفت في بداياتها بـ "الثورة الشعبية" لأنها بدأت بنخبة البلاد، فالذين أطلقوا الثورة كانوا أناساً مفكرين وأناساً لهم عمل في الدوائر الحزبية كحزب الشعب والحركة الوطنية، والجدير بالقول وربما قد يكون مؤلماً بعض الشيء، لكن عندما بدأت الثورة استطاعت فرنسا ولمدة قليلة أن تقضي على نسبة كبيرة من هذه النخبة التي أطلقت الثورة، فصاح بهم الشهيد العربي بن مهيدي أحد الزعماء الكبار الذين اطلقوا شرارة الثورة قائلاً: "إلقوا بالثورة في الشارع يحتضنها الشعب"، يعني ان الثورة لا يجب أن تبقى عند نخب معينة أو مجموعات معينة، بل يجب أن ينصهر هذا الشعب بالثورة والثورة تلتحم بالشعب، لهذا بدأ الشعب يقوم بدوره في هذه الثورة حتى قدّم الشعب مليون ونصف مليون شهيد خلال سبع سنوات ونصف في المظاهرات والمسيرات وأعمال فدائية واعمال هجومية، إلتحم خلالها هذا الشعب مع الثورة وأدّى واجبه تجاه الوطن والثورة، ولهذا سميت ثورة شعبية وليست ثورة اقطاعية او محلية أو مناطقية، بل كانت ثورة شعبية جمعت أبناء الجزائر بكل أطيافهم في خط وهدف واحد.

المرأة شريكة الرجل في الثورة الجزائرية

من المقاومة الشعبية الى الكفاح المسلّح إنتقلت المقاومة في الجزائر، نكمل حديثنا مع الدكتور أحمد ابراهيمي لنتعرف على دور المرأة في هذه المقاومة التي تخلدت في التاريخ، يقول ابراهيمي بأن المقاومة في الجزائر لم تقتصر فقط على وجود الرجال، بل للنساء وحتى الأطفال كان لهم تاريخ وباع طويل في مسيرة هذه المقاومة، فالجزائر ضمّت الكثير من الشهداء الأطفال ممن كانوا في عمر ١١ و١٢ سنة، وقاموا بعمليات بطولية بالفعل تراوحت بين وضع الكمائن ونقل القنابل من مكان الى آخر، كما يوجد عندنا من حمل السلاح في عمر الـ١٤، وعندنا في الثورة الجزائرية مصطلح خاص بالنساء والأطفال الذين كان لهم دور كبير في هذه الثورة، وتاريخ المقاومة الجزائرية يحفل بالعديد من النساء الجزائريات التي خلدهن التاريخ من خلال بطولاتهم ومنهم فاطمة نسومر التي قادت المقاومة وقتلت أكثر من ٨ جنرالات، ووريدة مداد وحسيبة بن بوعلي وزبيدة ولد قابلية ومريم بوعتورة ومليكة قايد، وغيرهن من الشهيدات اللواتي دخلن التاريخ العظيم الذي أدّاه أهلنا، لأن الثورة اعتمدت على أهل الجزائر من الرجال والنساء والأطفال.

شهيدات جزائريات أرعَبن الإستعمار وخلّدهن التاريخ

جزائريات حرائر قاومن من أجل استرجاع حرية الجزائريين التي اغتصبها المستعمر الفرنسي سنة ١٨٣٠، حملن القضية الجزائرية في صدورهن ووقفن وقفة رجل واحد في وجه الإحتلال غير آبهات بجيوش الإستعمار ودباباته وطائراته، تعرضن لأبشع أنواع التعذيب المنافي لحقوق الإنسان واستشهدن بشرف في ساحة المعركة إلى جانب الرجال، وهنا لا بد من الوقوف عند أبرز هؤلاء الشهيدات اللواتي اصبحن رموزاً للثورة الجزائرية يقول ابراهيمي، فالشهيدة فاطمة نسومر كانت شخصية قوية جداً ومعروفة جداً طيلة سنوات الثورة التي استمرت سبع سنوات ونصف، كما أن للشهيدة حسيبة بن بوعلي التي عرفت بشجاعتها حتى استشهادها، وتم اطلاق أسمها على أكبر شارع عندنا في العاصمة الجزائرية، وعندنا وريدة مداد التي أرعبت جنود الإحتلال وعذبوها أبشع أنواع العذاب وتم إلقاءها من احد نوافذ ابنية التعذيب بعدما رفضت الإدلاء بمعلوماتها عن الثورة، ونتيجة لبطولاتها تم تسمية الكثير من المؤسسات بإسمها هنا، ولنا اسماء كثيرات من النساء البطلات اللواتي اصبحن رموزاً للثورة وأيقونة لها، وإحداهن ما زالت حية الى يومنا هذا والإخوة في المشرق العربي يعرفونها بإسم "جميلة بوحيرد".

" الله أكبر تحيا الجزائر" شعار الجهاد المقدس

بالإنتقال في الحديث عن سبب ودافع هذه الشهيدات للوقوف أمام الإستعمار وحملهن قرار المواجهة، أكّد ابراهيمي بأن الشيء الوحيد الذي كانت ترتكز عليه الثورة والمقاومة هي "العقيدة والدين" وهذا ما دفع هذه الشهيدات ليقدمن أنفسهن في سبيل الوطن، فقد كانت الناس تعرف وتدرك جيداً بأن هذا جهاد مقدس وليس فقط مجرد مقاومة لإخراج مستعمر فقط، كانوا يلقبون الناس الذين يقاتلون الفرنسيين بـ "المجاهدين" وعندما يموتون يحسبونهم "شهداء عند الله" ويقومون بما تتطلبه الشريعة، وكان الشهيد في الجزائر عندما يستشهد لا يُغسّل، بل يدفن بلباسه ودماءه بعد استشهاده كما يأمر الدين، وكان الناس يلقبون أولاد الذين يستشهدون في هذه الثورة بـ "أبناء الشهداء"، وكان الشعار "الله أكبر تحيا الجزائر"، كان هذا الشعار الديني مقرون بالبعد الوطني، وكان المجاهدون الكبار والقادة الكبار يخاطبون بعضهم البعض ويخاطبون الناس بالآيات القرآنية وبأحاديث النبي(ص) بأنهم في جهاد وان ما يقومون به في سبيل الله، وأن الجزائر أحد ثغور رسول الله(ص) ويجب أن نحافظ عليه ونحافظ على الهلال ويبقى الآذان مرفوعاً في جميع المساجد، ويجب أن لا يكون للناقوس في هذا البلد اي شأن، كانت هذه هي الأحاديث اليومية التي تدور حول الجهاد المقدس والعمل فيه متعلق بالله سبحانه عزّوجل.

إلغاء التعددية والقبلية والمناطقية والعشائرية

الى العقيدة وأهميتها والهوية الجزائرية ودورها في حياة الإنسان الجزائري وفي الحفاظ على مبادئ الثورة إنتقلنا في حديثنا مع الدكتور ابراهيمي، حيث رأى أن البُعد العقائدي الديني أهم ما ميّز الثورة الجزائرية، وهذا البعد هو الذي ألغى القبلية والمناطقية والعشائرية

بلد المليون ونصف مليون شهيد حوله الإستعمار الفرنسي الى حقل تجارب نووية

"عبد القادر الجزائري" لم يكن إسماً عادياً في تاريخ الجزائر، بل الرجل المقاوم الذي ذاع صيته في مشارق الأرض ومغاربها

أول بلد بدأ فيه نظام الإستيطان هو الجزائر.. المستوطنون جاءت بهم فرنسا من اسبانيا والبرتغال وايطاليا

والأمور التي تعتبر مقيتة، والتي لعبت دورها في مكان ما، ولكن عندما تُوجت بالدين اصبحت هذه الأمور لا نزاع فيها، اصبح البعد القبلي تحت راية الدين يؤدي دوره، والبعد المناطقي قدّم دوره تحت راية الدين، وكما نعرف فإن الجزائر مشكلة من الأمازيق والعرب وغيرها... كل هذا التشكيلات غابت مع بداية الثورة لأن الشعب الجزائري أدرك أن هذه الثورة هي ثورة شعبية وأن العدو واحد، فألغيت فيها كل الأحزاب والجمعيات وبقي تنظيم واحد هو "جبهة التحرير الوطني" الذي تم اقراره واتفق عليه الشعب الجزائري وأكّدوا بأن اي جزائري سيقاوم وسيجاهد تحت هذه الراية وهذا الإسم فقط، والحمد لله نجحوا في هذه القرارات الوطنية، فكانت الكلمة كلمة واحدة والقرار قرار واحد، لم يكن هناك أحزاب وذابت التعددية لان المسألة كانت مسألة تحرير وطن واتفقوا على التحرير ونبذوا كل الإختلافات وتركوها الى ما بعد الإستقلال، وهذا ما حصل، وكل جزائري سواء كان سياسياً أو مثقفاً أو نخبوياً، الجميع اتفق على التحرير ووضعوا تحرير البلد من الإستعمار من أهم الأولويات، ومشوا على قاعدة واحدة:" نحرر البلد من الإستعمار ثم بعدها النمط الذي سنحكم فيه البلد لكن الأهم أن نكون أحرار".

فرنسا تجري تجاربها النووية على أهالي "رقان"

لم ترهبهم جيوشهم ولا طائراتهم ولا أسلحتهم، لأن الهدف هو اسمى من كل معداتهم العسكرية، ناموا على الصخور وبين الأودية تسلقوا الجبال وعاشوا فيها، هكذا واجه الشعب الجزائري الإستعمار الفرنسي، قاوم بكل ما أوتي من قوة، وواجه الدولة الفرنسية التي كانت تعتدي وتقتل وتمارس إجرامها بحق الشعب الجزائري طيلة سبع سنوات ونصف، لا يمكن أن نخفي عن أحد بأن الجرائم الفرنسية في الجزائر من الممكن أن تكون قد فاقت جرائم التتار في بغداد، التتار مارس جرائمه لأيام وانتهى، لكن فرنسا ١٣٢ سنة وهي تقتل وتجرم وتجوّع وتشرّد يومياً، ولشدة حقدها ونقمها على المجاهدين والمقاومين نقلت الناس الى كالودنيا الجديدة ونفتهم من موطنهم الأصلي الجزائر في ذلك الوقت، كما نفت الكثير من الجزائرين الى فلسطين وسوريا والعراق، كما نقلت فرنسا بالقوة العديد من الشعب الجزائري الى كالودنيا الجديدة ليحاربوا الى جانب فرنسا ضد ألمانيا، يمكن القول أن فرنسا فعلت كل ما بوسعها من إنتقام وتعذيب بحق هذا الشعب، لهذا فإن الشعب الجزائري عندما رأى هذه السلوكيات الوحشية الهمجية من هذا العدو، قرر أن يواجه المستعمر الفرنسي بكل ما يملك، ومن الجدير القول بأن في الجزائر يوجد مناطق محتها فرنسا من السجل المدني بإختصار "قتلتهم عن بكرة أبيهم"، كما استعملت كل المحرمات من القنبال العنقودية والقنابل الحارقة، كما مارست فرنسا تجاربها النووية على الأراضي الجزائرية وعلى الشعب الجزائري لا سيما في منطقة "رقان" حيث استيقظ سكان هذه المنطقة الواقعة بالجنوب الغربي الجزائري صباح يوم ١٣ فبراير ١٩٦٠ الساعة السابعة وأربع دقائق على وقع انفجار ضخم ومريع، والذي جعل من سكان الجزائر حقلاً للتجارب النووية والقضاء على أكثر من ٤٢ ألف مواطن من منطقة رقان ومجاهديها، حكم عليهم بالإعدام، جعلوا منهم فئران تجارب للخبراء الإسرائيليين وجنرالات فرنسا على رأسها الجنرال ديغول، كما كان المستعمر يربط الناس في الجزائر بالأعمدة ليجري عليهم تجاربه النووية وهذا أبشع ما يمكن أن نقوله عن جرائم فرنسا التي مارستها بحق شعبنا طيلة استعمارها حتى خروجها من الوطن.

وعود خاوية

عندما نذكر الجزائر يتبادر الى الذهن مباشرة "ثورة المليون ونصف مليون شهيد"، لكن قد يخفى على الكثير كيف قامت هذه الثورة وماذا قدّمت واين اصبحت اليوم، نكمل الحديث مع الدكتور ابراهيمي الجزائري الوطني الذي يحفظ تاريخه عن ظهر قلب، حيث يضيف بأن هذه الثورة قامت بعد سلسلة من المقاومات، من المقاومة الشعبية التي دامت أكثر من ٧٠ سنة، قادها رجال عظام ونساء عظيمات، وإن تغلبت عليهم فرنسا لفترة بسبب قوتها ومكرها وخداعها لأن المنطقة العربية الإسلامية كانت ممزقة، لكن عوامل كثيرة تركت اثرها على هذه المقاومة، الى مرحلة السياسة ومفاوضة فلسطين بالسياسة التي دامت حوالي اربعين عاماً، لكن النقطة التي افاضت الكأس هو عام ١٩٤٥، يوم وعدت فرنسا الجزائرين بحريتهم اذا ساعدوها في حربها ضد ألمانيا النازية، فشارك الكثير من الجزائريين مع فرنسا في حربها ضد ألمانيا، منهم من ذهب بإرادته راغباً وطمعاً بالوعد الفرنسي ومنهم من أجبرته فرنسا على الذهاب، وما حصل في ذلك الوقت، عندما إنتصرت فرنسا خرج الملايين من الشعب الجزائري في شوارع الجزائر إحتفاء بالنصر والوعد بحرية الجزائر الذي قطعته فرنسا، لكن ردّ فرنسا الهمجي كان بإطلاق العنان لطيّارينها ومدافعها ودباباتها فدّكوا هذه الجموع حيث وصل عدد الشهداء في ذلك اليوم الى ٤٥ ألف شهيد، وهنا بدأت النخبة الجزائرية من السياسيين في ذلك الوقت، حزب الشعب والحركة الوطنية وجمعية العلماء المسلمين وأحباب البيان، هذه الفئات التي كانت تشكل الطبقة السياسية في ذلك الوقت، عرفوا تمام المعرفة يومها أن فرنسا لا وعد لها ولا عهد لها.

إنطلاق اولى رصاصات الثورة الجزائرية من جبال الأوراس

وبدأت تتشكل قناعة لدى الجزائرين أن فرنسا لا تخرج إلاّ بالمقاومة والسلاح، لذلك اشتغلت هذه النخب على جيل كامل قال فيهن بن باديس: "يَانَشْءُ أَنتَ رَجَاؤُنا... وبكَ الصّباح قد اقترب"، وكان الشيخ بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين وأحد روّاد النهضة الجزائرية ممّن أعدّوا جيلاً في ذلك الوقت خلال سنوات قليلة، تشكل من مجموعة شباب لم يكونوا معروفين أو قادة بارزين، بل كان شباباً يافعاً حملوا مشروع التحرير وإجتمعوا في أحد البيوت هنا في العاصمة في منطقة "المدنية"، لم يتجاوز عدد الـ٢٢ شاباً، كانوا يمثلون كل جهات الوطن من الشمال والجنوب والشرق والغرب، وقرروا بأن فرنسا يجب ان تخرج من الجزائر وأطلقوا شرارة الثورة، وحددوا اليوم الذي ستُطلق فيه أول رصاصة في الجزائر، من إحد الجبال الشاهقة والمعروفة في الجزائر هي "جبال الأوراس".

في تاريخ ١ نوفمبر ١٩٥٤ وبحوالي ٤٠٠ قطعة سلاح ومجموعات من المناضلين إنطلقت الثورة وإشتعلت البلد بأكملها في تلك الليلة وضربت المصالح الفرنسية من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الوسط والى الشمال، الجميع في تلك الليلة أدّى واجبه وهجموا على مراكز وعلى مقرات عسكرية معينة واهداف محددة، فإستفاقت فرنسا على نار أكلتها من جميع الجهات، وبدأت الثورة الجزائرية بقوة، ويحفظ التاريخ جيداً هجوم الشمال قسنطيني، الهجوم الكبير الذي مات فيه خلق كثير، حيث تشاركت هذه الهجوم مع عمليات في العاصمة وفي وسط البلاد في منطقة وهران، قوة كبيرة تحركت في ذلك الوقت بدأ معها العدّ التنازلي لفرنسا لكي تخرج من الجزائر بعد المقاومة الباسلة التي قام بها الشعب، واستنجدت يومها فرنسا بالحلف الأطلسي في ذلك الوقت (ما يسمى اليوم بالناتو) واستدعته الى الجزائر وشارك الفرنسيين في قتالهم ووقفوا الى جانب فرنسا ضد الثورة، لكن في النهاية خرجت فرنسا مدحورة وكانت حصيلة الشهداء مليون ونصف المليون شهيد قدمتها هذه الثورة على مذبح التحرير وهدية للتحرير.

عبد القادر الجزائري امير المقاومة

"عبد القادر الجزائري" لم يكن يوماً إسماً عادياً في تاريخ الجزائر أو في التاريخ الفرنسي، بل هو الرجل المقاوم الذي ذاع صيته في كل مشارق الأرض ومغاربها، هو امير المقاومة في ذلك الوقت وقائدها، وهو رجل الحرب والسلام، الى سيرة هذا الرجل ودوره ومقاومته توقفنا خلال لقاءنا مع الدكتور ابراهيمي عندها محطات هذا الرجل الذي دخل التاريخ ولم يخرج منه، يقول ابراهيمي "بالنسبة للأمير عبد القادر الحسني، هو رجل من آل